جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة:الثالثة

المادة :الفلسفة

عنوان المحاضرة: التفسير الاسطوري

أسم التدريسي : أ.د كريم علي فليح

إلايميل الجامعي للتدريسي: kareem.ali@tu.edu.iq

1445 هـ

2024م

التفسير الأسطوري .

الأسطورة لفظا وأصطلاحا . لم يختلف العلماء والمفكرون والباحثون ، بقدر ما أختلفوا في تحديد أصل ومضمون الأسطورة ، وذهبوا في ذلك مذاهب حتى وقد جاء لفظ الأسطورة في اليونانية من كلمة (ميثوس) لتدل على القصة المتواترة أو الحكاية التقليدية عن الآلهة والأبطال ومنها اشتقت كلمة (الميثولوجيا) بعديد لتدل على ، علم دراسة المناظير) وفي اللغة العربية جاءت كلمة الاسطورة اشتقاق) من (سطر) أي الف الأساطير أو الاحاديث العجيبة التي لا نظام لها والأقاويل المنفقة المزخرفة (10) كما وردت لفظة ، الاساطير ، في القرآن الكريم بالذات فيما يمت القدماء من أحاديث ، و قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا . أن هذا الا أساطير الأولين كما وردت في سورة أخرى ، ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تعالى عليه بكرة وأصيلا .. أي طلب الرسول (ص) كتابتها فأملاها عليه جبريل (ع) صباح مساء. ومن هنا جاء قوله تعالى .. قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض .

لم يتوصل الباحثون إلى تعريف محدد وجامع للأسطورة . فقد اختلفوا في تعريفها وفي معناها أيضا. فقد رأى بعضهم في الأسطورة ، حكاية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي وما يميزها عن الخرافة هو الاعتقاد واليقين بها ومن هنا تغدو الاسطورة موضوع أعتقاد في حين حددها (جيرالد الارسون) بأنها ، حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الروايات المنسوجة عن الآلهة أو القوى الغيبية والمتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة أو الجماعة العرقية الغرض تجاربها، وعالمها فردياً أو جماعياً. وقد تفر الأسطورة خلق الكون والأنسان ونشأة الموت والقرابين وبطولات الأبطال . أما (را برتن سمت) فقد رأى فيها أنها ، ليست جزءاً جوهرياً من دين قديم، بل تستنبط من العادات والشعائر ، وأضاف قائلاً .. أن الأسطورة تفسير وتأويل الشعائر دينية .

كما صنفها بعضهم ضمن العلم البدائي أو التاريخ الأولى ، أو تجسيد الأخيلة الاواعية، فقد حاول (أنست كاسيرر (في دراسته للأسطورة أن يعطيها الأسبقية الأولى على التاريخ .. فمن رأيه أن الأنسان ، لما بدأ يبحث عن أصل الأشياء عندئذ ، وجد أصلا أسطوريا ولم يجد أصلا تاريخيا .. كما وجد فيها ، المحاولات الأولى لتبين الترتيب الزمني للأشياء والأحداث، وأستند في ذلك على أنه وليس لزمن الأسطوري مبنى محدد وأنما . هو زمن أزلي ... لكنه أستدرك يقول .. وحين شر الأنسان في فك الشبكة المعقدة التي يتألف منها الخيال الأسطوري ، يحس انتقل إلى عالم جديد . ويبدأ في تكوين فكرة جديدة عن الحقيقة مول في حين أفترض أخرون بأن الأسطورة تخفي معنى حقيقياً تحت معناها الظاهر. أو تتخذ شكلا لفظياً قد يختلف كلياً عن المعنى الذي تنطوي عليه بالأصل وبهذا فهي تجمع بين - الرمز والمعنى ، وعلى الرغم من أمتناع الأسطورة عن التفسير العقلاني لدى بعض الباحثين فهي تتطلب كما يقول (رائقين) البحث العقلاني الذي تعرى أليه شتى التفسيرات المتضارية والمتعددة .

مدارس التفسير الأسطوري :

لقد هيمن الفكر الأسطوري ردحاً طويلا من الزمن على معتقدات الأنسان. لا بل غالباً ما حدد سلوكه واتجاهاته في الحياة لكن مع مطلع العصور الحديثة ، أدى التطور بالعلوم إلى الأزدراء بالأسطورة لتنافيها مع التفكير العلمي الجديد . وخلال عصر - التنوير الأوربي - تعرضت الأسطورة إلى الأعمال والنقد . فقد عدها (ماكس مولر) مرضاً من أمراض اللغة في حين رأى فيها (هربرت سبنسر) من قبيل الأدراك البدائي والخاطي وخلال القرن التاسع عشر أعاد الكثير من المفكرين والباحثين الأوربيين الاعتبار للأسطورة بوصفها شكلا فنياً من أشكال الفولكلور . والأدب الشعبي .ولم يلبث أصحاب المدرسة الرومانتيكية أن عدوا الأسطورة أصلا للفن والدين والتاريخ. وغدت مناراً لأنتاجهم الفكري والأدبي. أما العلوم الأنسانية فقد أخذت البحث في المعاني والرموز الكامنة في الأسطورة بغية التعمق في فهم الأنسان وسلوكه وحياته الروحية والنفسية وعواطفه ودوافعه ، وبهذا عدت الأسطورة فرعاً عاماً من العلوم الانسانية يرتبط أساساً بعلم اللغة والدراسات الأدبية والنفسية الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وتاريخ الفن والأديان .

ومع هذا ظهر فرع جديد من فروع المعرفة يعنى بدراسة وتفسير الأساطير اطلق عليه بالميثولوجي علم الأساطير . لقد أهتم هذا العلم الحديث بتعريف الأسطورة ودراسة بواعث نشوئها وتفسيرها إلى جانب وظائفها اللغوية والنفسية والفكرية والاجتماعية والفنية ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ظهرت مدارس كثيرة استهدفت تقديم نظريات شاملة في تفسير الأسطورة، إلا أن معظم هذه المدارس حاول التمسك ، كل حسب علمه واختصاصه ، بالنظرة الأحادية لتفسير الأسطورة ومن هنا غذا علم الأساطير موضوعاً أخذ مكانته بين فروع المعرفة الأخرى علاقة الأسطورة بالطبيعة وظواهرها :

أكد أصحاب هذا الاتجاه على أرجاع الأساطير الى أصول ترجع إلى الطبيعة ذاتها وما يتصل بها من ظواهر، فالكثير من الأساطير تركزت حول الشمس والقمر وظواهر الطقس المختلفة كالصواعق والرعود والغيوم والبراكين وغيرها . ويعتبر روبرت وود) من بين الأوائل الذين كانوا يرون أمكانية تفسير الأساطير بالرجوع إلى أصولها الجغرافية والطبيعية . وهناك من أكد أن الأساطير ما هي الا قصص مجازية عن مجريات الأمور في الكون، بل هي تعبير عن تاريخ الطبيعة بعينه، ويلحظ أقتران أسماء الآلهة منذ القدم بالفلك والتنجيم وأسماء النباتات والكواكب والبروج، ويرى (شارل فرانسوا) في كتابة - أصل العبادات ، على أن البروج ، هي الرحم التي حملت بجميع الأساطير ، كما غزاها أخرون جغرافياً إلى العناصر الأربعة (الماء والهواء والنار والتراب) . في حين أرجعها بعضهم إلى أبتداع المنجمين والكيمياويين البدائيين . لقد أثرت الظواهر الطبيعية في مخيلة الأنسان منذ عهد بعيد. وترتب على ذلك. تأليه هذه الظواهر والبيئة المحيطة والأساطير الوثنية التي عكستها الحضارات القديمة لا سيما السومرية والبابلية والأشورية ومثلها اليونانية والرومانية ، وحتى القبائل البدائية، ربطت كل ظاهرة طبيعية بأله خاص بها كما ظهرت أساطير أرتبطت بالعناصر العلمية حيث تناولت ما يعرف بـ (حجر الفلاسفة) . وهذا ما دفع (فرنسيس بيكون (الى أعتبار الأسطورة بمثابة تجيد الحقيقة طبيعية

وأن تكن متنكرة بمظهر فنى بارع . ومن هنا أعتقد بعضهم أن غرض الأسطورة التي تناولت عالم الطبيعة ليس مجرد وصف الشيء بل تفسير لكيفية وجوده . (٣)

كما أعتقد بعضهم أن أعطاء ظواهر الطبيعة هذه أدواراً وسمات أنسانية تعبر عن الحسن والقصد والأرادة. لم يكن بحد ذاته الا دلالة على أعطاء الفكر العيبي البدائي درجة عالية من الخيال (١٣) وقد أشار بعضهم من المعنيين بدراسة الاساطير ومنهم (فرو بنيوز) على وجود عنصر أولي مشترك بين الحضارات البشرية أو الجماعات الأنسانية يغذي فيها ميلا نفسياً أو فكرياً متجانا في مجال الأسطورة، لا سيما تفسير ما يجري في الكون وأدراك حقيقة الوجود الأنساني أما فردريك ماكس مولر (الذي تركزت دراساته حول علم الأسطورة المقارن، فقد رأى أن ملامح التخاطب الأولى في تطور البشر هي الاستعمالات المجازية وعناصر الاستعارة من الطبيعة، حينما كان ينقص البشر التفكير المجرد . ومن هذا المنطلق اعتقد مولر أن الشمس كانت المصدر الرئيس لكل هذه الأساليب التعبيرية في مجالات الاستعارة والمجاز التي سيطرت على لغة التخاطب في عهود الأنسان الغابرة. لا بل شكلت بنظره المصدر الرئيس في التفكير الأسطوري في حين أعتقد (كوهن) أن الزوابع الرعدية وما يصاحبها من برق ورعد هي أهم عناصر الأساطير ولقد أهتم العرب قديماً في أسطورية الظواهر الطبيعية. وأهمها ظاهرة البرق وشعائر أنزال المطر وظاهرة قوس فرح وغيرها. كما قدموا الكواكب السماوية وأبرزها الشمس والقمر والزهرة والثريا التي حاكوا حولها الأساطير ومنها أسطورة الغميصاء . كما أعتقدوا في أسطورية الجبل وقدسية الهلال أن تصوراتهم هذه عكت إلى حد ما طبيعة واقعهم الاجتماعي وقتئذ (1) ومع أن الخيال قد لعب دوراً أساسياً في هذه المعتقدات الأسطورية فأن القوة والخوارق قد ارتبطت بهذه الظواهر الطبيعية. وهذا ظاهر في تعبيرات القوة التي تتجد في الخصائص النوعية الغربية للكون. كما تظهر في التناقض بين البر والبحر والسهول والجبال أو بين الجهات الأربع أو أختلاف وجوه القمر كما أرتبطت بعيادة الظواهر الطبيعية الأساطير الحيوانية والنباتية وعلاقة ذلك بالأرض فقد تصورت الكثير من المجتمعات البدائية الحيوانات في هيئات بشرية . وفي الأساطير تتصرف وتتحدث الحيوانات كما لو كانت بشراً، كما ظهرت بعض الأساطير التي لها علاقة بعيادة وتقديس الأشجار وفي ملحمة جلجامش السومرية هناك أشارة إلى (نبات الخلد (رمزاً على قدسيته الألهية ومحاولة الأنسان التغلب على عقدة الموت بقية كسب الخلود ويلحظ على الكثير من القصور والمعابد في الحضارات القديمة تماثيل وصور لكائنات أو حيوانات خرافية أو مركبة لقد أرتبط ذلك ينظر بعضهم بالمعتقدات الدينية (الطوطمية) وما يصاحبها من عبادة وتقديس للحيوان أو النبات وهناك من يشير إلى أن تحول الانسان من نمط الصيد إلى نمط الزراعة قد رافقه تطور أسطوري وهنا حلت الآلهة التي ترمز إلى العصر الزراعي محل الآلية الحيوانية (١٢) ومع هذا فقد بقيت الظواهر الطبيعية رغم تحولاتها الفكرية والأسطورية عبر الزمن مدار بحث وتأمل حتى في عصرنا الراهن .

الأسطورة والفكرة التاريخية :

حاول أصحاب هذه المدرسة ربط الأسطورة بوقائع وحوادث تاريخية جارية ليست من نتاج الخيال المجرد ، أن عدوا الأسطورة بمثابة تجارب وخبرات أنسانية مباشرة بل أرجعوها إلى

أزمان سحيقة سابقة على التاريخ المدون ، لكنها بقيت متداولة عبر الأجيال بالاعتماد على الذاكرة ومع ذلك ، فمنذ القرن الرابع (ق . م (حاول بعضهم عرض مسألة ربط الأسطورة بالحدث التاريخي. فقد أرجع (يوهيمروس) في كتابة « التاريخ المقدس ، بعض الآلهة الوثنية اليونانية الى أصول بشرية ومنها (روس) كبير آلهة اليونان. وهذا ما جعل (هربرت سپنسر) يطلق نظريته القائلة بأن ، عبادة السلف أصل كل دين ... الا ان هؤلاء واجهوا المطالبة بالبراهين التاريخية القاطعة الاثبات صحة طروحاتهم هذه كما حاول بعضهم دمج السياسة بالأسطورة والدين بوصفها خطوة للتوصل إلى دمج الأسطورة بالتاريخ. لكن يلحظ أن بعض المفكرين قد أقر بوجود أساطير تتضمن في طياتها شيئاً من التاريخ . وقد أطلق (ما يكل كرانت) على هذا النوع من الأساطير بـ « شبيه التاريخ أما (مالينوفسكي (فقد أعتقد أن الاساطير تمثل : سجلاً تاريخياً مضبوطاً للأحداث الجارية ، عبر ماضي الجماعات والشعوب كما وجد بعضهم في . التاريخ - الأسطورة - بمثابة مزيج بين التاريخ. والخرافة، أو تتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق تأخذ أطار الحكاية . ولتعلق هذه الحكاية بمكان محدد واقعي أو أشخاص حقيقيين تنقل بالتواتر من جيل إلى آخر (1) والى هذا القبيل على وجه التقريب أشار (يونغ) بأن الأساطير تمثل تاريخاً قبلياً ، تتوارثه الأجيال المتعاقبة عن طريق التلقين . ونتاجات الأساطير يندر أن تتخذ أشكالاً أو نماذج محددة بل تنطوي في الأعم الأغلب على عناصر يمتزج فيها الخيال بالخرافة. ونتيجة لطبيعة الأسطورة المميزة فأنها تمثل صوراً الأحلام وفي الحكايات الخرافية . (١٣) بدائية سحيقة تنتمي إلى عصور بائدة أو طرزاً بدائية مماثلة لتلك التي تظهر في وهناك أساطير عديدة ظهر فيها الجمع بين (التاريخ - الأسطورة) ومنها : قصة (الطوفان) البابلية و (ملحمة جلجامش) السومرية ، وفي تراث الأغريق نجد اساطير حيكت حول (حرب طروادة) وأساطير أخرى تمثلت باسطورة (أوديب) (سيزيف) و (أوليس) وغيرها . وفي التراث العربي تجسدت الأساطير العربية و (سيزيف) وفي علاقة العرب الاجتماعية وشعائرهم وطقوسهم واحتفالياتهم ومنها أساطير العرب. البائدة (عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعمالقة) ، وأساطير وقصص أخرى ورد ذكرها في القرآن الكريم منها (أرم ذات العماد) و (سد مأرب) . كما كانت للحروب عند العرب أساطير أيضاً مثل : داحس والغبراء) و (البوس أو ا ذي قار) و (عام الفيل) - أضافة الى الأساطير التي نسجت حول العمران الحضري ومنها الاساطير التي قيلت بشأن قصور غمدان والخوريق والسدير، كما ارتبطت الاسطورة والخوارق والخرافة هنا بأشخاص تاريخيين كعنترة وأبن ذي يزن اللذين ورد ذكرهما سابقاً . الى جانب أساطير حيكت حول شخصية (رولان (الفرنسية و الظاهر بيبرس (المملوكية و (هانيبال (الفينيقية وغيرها من الشخصيات التاريخية .وغالباً ما تميل غالبية القصص والحكايات الأسطورية المرتبطة بشخصيات أنسانية إلى التشديد على أصل الأشياء أو نشأتها . أكثر من تلك التي تفتقر إلى هذا النمط من الشخصيات وفي حالة تجريد القصص الأسطورية من مضامينها الغيبية والعقيدية ، فأنها تتحول إلى مجرد روايات أبطالها من البشر العاديين